مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 21 العدد: 45 السّنة: الثّلاثيّ الثّالث 2019 ص: 167 - 194

النصّ الشّعريّ في النقد العربي
بين التداوليّة وتحليل الخطاب

Poetic text in Arabic criticism
And discourse analysis Between pragmatism

الباحثة: ناديّة ناجي*
تحت إشراف د. منقور صلاح الدّين

تاريخ الاستلام: 06-02-2019 تاريخ القبول: 12-03-2019

الملخّص: تتناول هذه الدّراسة العلاقة بين التّداوليّة وتحليل الخطاب تحديدا في مجال قراءة النّص الشّعري، وسنحاول استكشاف نقاط التّقاطع بين هذين العلمين في مجال دراسة الشّعر، فالبراغماتيّة تهتمّ بدراسة اللغة في شكلها التّواصليّ الإفهامي.

وتحليل الخطاب يهتمّ بدراسة النّص في بناه السّطحيّة والعميقة؛ مركزا في ذلك على بنيّة اللغة من جميع وظائفها بما في ذلك قضيّة التّواصل والإفهام والتّأويل والعلامات اللغويّة، وكلّها قضايا يتقاطع العلمان في الاهتمام بها في النّص الشّعري.

كلمات مفتاحيّة: التّداوليّة؛ تحليل الخطاب؛ النّص الشّعري؛ العلامات الأنساق اللغويّة؛ التّلفظ؛ الأفعال الكلاميّة.

Abstract: This study deals with the relationship between pragmatism and discourse analysis specifically in the field of reading

* جامعة ابن خلدون (تيارت) ، ، البريد الالكترونيّ : benaboody14@gmail.com

poetic text, and we will try to explore the points of intersection between these two sciences in the study of poetry, Pragmatism is concerned with the study of language in its form of communicative comprehension.

And the analysis of discourse is interested in studying the text in its superficial and deep structure; Focusing on the structure of the language of all its functions, including the issue of communication and understanding and interpretation and language marks, all issues intersect the two pillars of interest in the poetic text.

KEYWORDS*:* Pragmatism; discourse analysis; poetic text; signs; linguistic formats; pronunciation; verbal verbs.

المقدّمة: شكلت وأثارت نقاشات واسعة ومتنوعة لدى المتخصّصين وذلك منذ منتصف القرن العشرين، ولا تزال مستمرّة إلى اليوم، ويُرجع الباحثون سبب ذلك إلى رغبة النّقاد والمحلّلين في الظفر بعلم يتحسّس الأبعاد المعرفية لما أنتجه وينتجه الإنسان من خطابات في شتى مجالات الحياة (السّياسيّة، الأدبيّة الفكريّة، الثقافية) وغيرها، ومن المعروف أنّ موضوع تحليل الخطاب له صلة وثيقة وتواشج قويّ بالدّرس اللسانيّ المعاصر بشكل عامّ؛ واللسانيات التّداوليّة بشكل خاصّ، كون اللسانيات التّداوليّة تقارب اللغة التّيّ تحويّ الفكر الإنسانيّ بجميع تفرعاته خاصّة في جانبيه الاجتماعيّ والإنسانيّ.

ومن المعروف لدى متخصّصيّ هذا الفرع من المعرفة أنّ اللسانيّ الأمريكيّ زيلينغ هايس (Harris Zelling) هو أوّل من اشتغل على قضيّة تحليل الخطاب وقد كان يسعى إلى إيجاد طائفة من الإجراءات الشّكليّة بغيّة تحليل الإنتاج الكلاميّ بطابعه التّداولي؛ سواء أكان هذا الإنتاج مكتوبا أم منطوقا، معتمدا في ذلك منهج التّوزيع وقد كانت جهوده فاتحة معرفة لغيره، وبسببها ظهرت إلى الوجود توجهات مختلفة بغيتها تحليل الخطابات من زوايا و رؤى متعددة

ومتنوعة، فانبثق عن ذلك المدرسة الأنجلوسكسونيّة والمدرسة الفرنسيّة، ثم تشعبت الدّراسات وتنوعت إثر ذلك، ليصبح تحليل الخطاب علما قائما بذاته وقد انتقل من الدّراسات اللغويّة والأدبيّة إلى مجالات سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة وحتى صناعيّة، فنجد اليوم في المجتمعات الغربيّة الشّركات الكبرى الصناعيّة خاصّة وفي مجال التّسويق تستعين بهذا العلم بغيّة التّرويج لمنتوجاتها، والضغط على الزبائن بطرائق وجدانيّة تعتمد النّص الأدبيّ ومستويات اللغة المختلفة وسيلة لذلك.

وتحليل الخطاب كعلم تتجاذبه- كما هو معروف- مجالات معرفية لسانيّة عدّة فهناك من يربطه بالنّص وهناك من يربطه بالملفوظ بشكل عام وغيرهم يربطه باللغة ويضبطه (جون ديّ بوا) بقوله: «هو اللغة أثناء استعمالها إنها اللسان المسند إلى الذات المتكلمة»[1]. إلا أن هاريس قد عبّد الطريق منذ عام 1952 ليصبح تحليل الخطاب حقلا أجبر اللسانيات على أن تولي عنايتها بالمسائل المتعلقة بالتّكوينات الخطابيّة[2]. فنقلها من الاهتمام بالمستوى اللفظيّ والجمليّ إلى النّص كنظام كليّ شامل بجميع مستوياته المختلفة.

وتأسيسا على ما سبق وبالاستعانة بالمنهج الوصفي التّحليلي، سنحاول أن نتلقف العلاقة أو التّواصل المعرفي بين تحليل الخطاب كعلم شامل من جهة والتّداوليّة كعلم في حقل اللسانيات من جهة مقابلة، وذلك من خلال اشتغالهما على النّص الشّعري، فهل استطاع متخصصو هاتين المعرفتين من إحداث ذلك التّواصل والتّلاقح المعرفي بينهما؟

2- تحليل الخطاب؛ ضبط المصطلح: يجد الباحث في هذا المجال صعوبة في تحديد مفهوم متكامل لهذا العلم، إذ نقع على عدة تعاريف مختلفة له؛ فهو عند (دومينيك مانغونو) يعني: «دراسة الاستعمال الفعليّ للغة»[3]. في حين يذهب (جون مونان) إلى الاعتقاد بأنه: «كل تقنيّة تبحث عن تأسيس العلاقات أو

الصلات التّيّ توجد بين الوحدات اللغويّة للخطاب المكتوب أو الشّفويّ على مستوى أعلى من الجملة»[4].

ويتوسع مانغونو في شرح وتحديد هذا المصطلح فيصرح بأن: «لتحليل الخطاب تحديدات متنوعة، ويوجد تحديد واسع جدا: (هو تحليل استعمال اللغة). كما أن هناك تعريف آخر: (دراسة الاستعمال الفعليّ للغة من قبل ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقيّة). في البلدان الأنجلوسكسونيّة خاصّة العديد من النّاس ينظرون- إن قليلا أو كثيرا- إلى تحليل الخطاب وتحليل الحديث وكأنهما شيئ واحد؛ نظرا لكونهم يعدون الخطاب نشاطا تفاعليا أساسا، غير أنّه مع هذه التّحديدات الغامضة جدا يصعب التّمييز بين تحليل الخطاب والتّخصصات الأخرى التّيّ تدرس الخطاب، لذا نرى أنه من المستحسن اعتبار تحليل الخطاب التّخصص الذيّ بدل أن يقدم على التّحليل اللغويّ للنص في ذاته، أو على التّحليل السّوسيولوجيّ أو النّفسانيّ لمحتواه يسعى إلى مفصلة (Articulier) تلفظه مع موقع اجتماعيّ بعينه، وهكذا يجد تحليل الخطاب نفسه حيال أنواع الخطابات المشتغلة في قطاعات الفضاء الاجتماعيّ (المقهى، المدرسة، المحل التّجاري...) أو في الحقول الخطابيّة (السّياسي، الأدبيّ العلمي...)، إذن بإمكان تحليل الخطاب أن يعنى بالمدونات نفسها على غرار علم الاجتماع وتحليل الحديث إلخ، ولكن تحليل الخطاب - باستناده إلى هذه التّخصصات المجاورة- يتبنى وجهة نظر مختلفة؛ فدراسة استشارة طبيّة مثلا تفضيّ إلى الاحتفال بقواعد الحوار (موضوع تحليل الحديث)، والتّنوعات اللغويّة (موضوع علم الاجتماع اللغوي)، وأساليب المحاججة (موضوع البلاغة) إلخ، غير أن هذه الإسهامات المختلفة مدمجة من قبل محلل الخطاب»[5]. نلاحظ أن هذا الباحث قد جعل هذا العلم - كما سبقت الإشارة- تتجاذبه عدة تخصّصات وقد تكون في بعض

الأحيان متباعدة لا صلة بينها سوى أن اللغة تجمعها كيفما كانت وسيلة التّعبير فيها.

ويفيض هذا الباحث في الحديث عن تحديد مفهوم الخطاب وتحليل الخطاب إذ يعتقد أن: «مصطلح خطاب المتداول في تحليل الخطابات يحيل إلى نوع من التّناول للّغة أكثر مما تحيل على حقل بحثيّ محدّد، فاللغة في الخطاب لا تعدّ بنيّة اعتباطيّة؛ بل نشاط الأفراد متدرّجين في سياقات معينة... وبما أنه يفترض تمفصل اللغة مع معايير غير لغويّة فإن الخطاب لا يمكن أن يكون موضوعا بتناولٍ لسانيّ صرف...يدخل كذلك في سلسلة من التّقابلات حيث يكتسيّ قيما دلاليّة أكثر دقة خاصّة:

- خطاب/جملة: الخطاب يتكون من وحدة لغويّة قوامها سلسلة من الجمل بهذا المعنى يستعمل هاريس مفهوم تحليل الخطاب، في حين أن البعض الآخر يتحدث عن (نحو الخطاب)(Grammaire de discours)، أما اليوم فيؤثر الحديث عن (النّص واللسانيات النّصيّة).

- خطاب/ملفوظ: فضلا عن طبيعته وحدة لغويّة: (ملفوظ)؛ فإن الخطاب يشكل وحدة اتصال مرتبطة بظروف إنتاج معينة؛ أيّ كل ماهو من قبيل نقاش متلفز، مقالة صحفية، روايّة إلخ.

- **خطاب/لغة:** اللغة من حيث هي نظام من القيم المقدّرة مخالفة للخطاب واستعمال اللغة في سياق بعينه؛ الذيّ يحدد قيمة أو يستثير قيما جديدة. واللغة من حيث هي نظام مشترك بين أفراد الجماعة اللغويّة مخالفة للخطاب من حيث هو استعمال محدد لهذا النّظام، وقد يتعلق الأمر بـ:(تموقع في حقل خطابي: الخطاب الشّيوعي/ الخطاب السّريالي)، (نوع خطابي: الخطاب الصحفي/ الخطاب الإداري/ الخطاب الروائي/ خطاب الأستاذ)، (إنتاجات شريحة أو صنف من المتكلمين: خطاب المرضات/ خطاب ربات البيوت)، (وظيفة لغويّة:الخطاب

السّجالي/ الخطاب الآمر)»[6]. مما سبق نكتشف أن كل من مادة الخطاب وتحليلها يتجاوز الجملة وماهو مكتوب إلى أشكال أوسع وأكبر من وسائل التّواصل سواء المكتوبة أو الملفوظة.

3- الحدود الاصطلاحيّة للنظريّة التّداوليّة: التّداوليّة أو البراغماتيّة: «مذهب لسانيّ يدرس علاقة النّشاط اللغويّ بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغويّة بنجاح، والسّياقات والطبقات المقاميّة المختلفة التّيّ ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التّيّ تجعل الخطاب رسالة تواصليّة واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التّواصل باللغات الطبيعيّة»[7] ومغزى ذلك أن التّداوليّة تجعل الفعل الكلاميّ أو الأداء الكلاميّ أولى أولوياتها.

يبدو أن تحديد مفهوم الفعل الكلاميّ «لا يتضح ولا ينجليّ إلا بالرجوع إلى إطار نظريّة الأفعال الكلاميّة التّيّ جاء بها الفيلسوف المعاصر (د. ل. أوستين) وطورها تلميذه الفيلسوف (ج. سيرل)، فقد تعمق أوستين في إنجاز فلسفة دلاليّة تهتم بالمضامين والمقاصد التّواصليّة، وتختلف عما عرفناه عند علماء الدّلالة اللغويين وخصوصا البنيويين منهم، فقد كان أوستين يلح على القيمة التّداوليّة لعبارات لغويّة كثيرة تستخدم في اللغة الإنجليزيّة، وربما في كل اللغات، فقد أدخل مفهوم القصديّة **Intentionalité** في فهم كلام المتكلم، وفي تحليل العبارات اللغويّة، وهو مبدأ أخذه من الفيلسوف (هوسرل **Husserl**) والظاهراتيين، وتتجلى مقولة القصديّة في الربط بين التّراكيب اللغويّة ومراعاة غرض المتكلم والقصد العام من الخطاب»[8]، بمعنى أن الفعل الكلاميّ يعنيّ التّصرف (أو العمل) الاجتماعيّ أو المؤسّساتيّ الذيّ ينجزه الإنسان بالكلام ومن ثمّ فـ «الفعل الكلاميّ يراد به الإنجاز الذيّ يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة ومن أمثلته: (الأمر، والنّهي، والوعد، والسّؤال، والتّعيين والتّعزيّة، والتّهنئة)؛ فهذه كلها أفعال كلاميّة، وإذا طبقنا هذا المعنى على اللغة العربيّة فإن المقاصد والمعانيّ والإفادات

التّي تستفاد من صيغ التّواصل العربيّ وألفاظه كمعانيّ الأساليب العربيّة المختلفة؛ خبريّة كانت أم إنشائيّة، ودلالات (حروف المعاني) ودلالات (الخوالف) وأصناف أخرى من الصيغ والأساليب العربيّة هي التّي تمثل نظريّة (الأفعال الكلاميّة في التّراث العربي) »[9]، ومن هذا التّصور فإن أفعال الكلام، أو الأداء الفعليّ للكلام هو أهم مرتكزات التّداوليّة.

وفي المقابل فالأفعال الكلاميّة ليست مجرّد دلالات ومضامين لغويّة، بل هي فوق ذلك إنجازات وأغراض تواصليّة ترميّ إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعيّة أو مؤسساتيّة أو فرديّة بالكلمات، والتّأثير في المخاطب بحمله على فعل أو تركه أو دعوته إلى ذلك أو تقرير حكم من الأحكام أو توكيده، أو التّشكيك فيه، أو نفيه أو وعد المتكلم للمخاطب، أو وعيده أو سؤاله، أو استخباره عن شيء أو نفيه أو إبرام عقد من العقود أو فسخه، أو مجرد الإفصاح عن حالة نفسيّة معينة. ومن منظور التّداوليّة لا تكون اللغة مجرد أداة للتّواصل كما تتصوّرها المدارس الوظيفيّة، أو رموزا للتعبير عن الفكر كما تتصورها التّوليديّة التّحويليّة، وإنّما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتّأثير فيه[10].

ولعلّ أقرب حقل معرفي للتّداوليّة هو اللسانيّات، بالإضافة إلى أنّها تشترك فيها مع علوم أخرى، وهي ليست علما لغويا محضا بالمعنى التّقليديّ الذيّ يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغويّة، ولكنّها علم جديد يدرس الظواهر اللغويّة في مجال الاستعمال ويدمج مشاريع معرفيّة متعدّدة في دراسة ظاهرة التّواصل اللغويّ وتفسيره، كالبنيّة اللغويّة، وقواعد التّخاطب، والاستدلالات التّداوليّة والعمليات الذهنيّة المتحكّمة في الإنتاج والفهم اللغويين، وعلاقة البنيويّة اللغويّة بظروف الاستعمال. والتّداوليّة تمثل حلقة وصل بين حقول معرفية عديدة منها الفلسفة التّحليليّة (فلسفة اللغة العاديّة) وعلم النّفس المعرفي وعلوم التّواصل واللسانيات[11]. ويعود تأسيس التّداوليّة كمجال يعتدّ به في الدّرس اللغويّ المعاصر

إلى العقد السّابع من القرن العشرين بعد تطويرها على يد ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التّراث الفلسفي لجامعة أكسفورد وهم أوستين (Austin) وسيرل (Searle) و غرايس (Grice)، وكان اهتمامهم منصبا على الوصول إلى طريقة توصيل معنى اللغة الإنسانيّة الطبيعيّة من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها [12].

وقد يعتقد الكثير من الدّارسين أنّ هذه النّظريّة وثيقة الصّلة بالدّرس اللّغويّ بالعكس تماما فهي لا تنتميّ إلى أيّ من مستويات الدّرس اللّغويّ صوتيا كان أم صرفيا أم نحويا أم دلاليا؛ لذلك فالأخطاء التّداوليّة لا علاقة لها بالخروج على القواعد الفونولوجيّة أو النّحويّة أو الدّلاليّة ، وهي ليست مستوى يضاف إلى هذه المستويات لأن كلا منها يختص بجانب محدد ومتماسك من جوانب اللغة ، وله أنماطه التّجريديّة ووحداته التّحليليّة، ولا كذلك التّداوليّة؛ فهي لا تقتصر على دراسة جانب محدد من جوانب اللغة ، بل من الممكن أن تستوعبها جميعا ، وليس لها أنماط تجريديّة ولا وحدات تحليل كما هو الحال في الدّراسات اللسانيّة بكل فروعها، نجدها تعتمد على قواعد وأسس وضوابط للتحليل. وهي كذلك لا تنضويّ تحت علم من العلوم التّيّ لها علاقة باللغة على تداخلها معها في بعض جوانب الدّرس كـ: علم الدّلالة: الذيّ يشاركها دراسة المعنى، وعلم اللغة الاجتماعي: الذيّ تتشارك معه في تبيين أثر العلاقات الاجتماعيّة بين المشاركين في الحديث وموضوعه ومرتبة كل من المتكلم والسّامع وجنسه، وأثر السّياق غير اللغويّ في اختيار السّمات اللغويّة وتنوعاتها، وعلم اللغة النّفسي: الذيّ يشارك التّداوليّة الاهتمام بقدرات المشاركين التّيّ تؤثر في أدائهم مثل: الانتباه والذاكرة والشّخصيّة، وتحليل الخطاب: ويشتركان في الاهتمام أساسا بتحليل الحوار، ويقتسمان عددا من المفهومات الفلسفية واللغويّة كالطريقة التّيّ توزع بها المعلومات في جمل أو نصوص، والعناصر الإشاريّة، والمبادئ الحواريّة[13]. وهذه

النّقاط التّقاطعيّة هي التّي أمدت التّداوليّة بتلك الأهميّة المعرفية فجعلتها علما جامعا لعدة فروع معرفية.

والأكيد أن هذا التّداخل والاتساع والتّنوع جعل من الصعب تحديد تعريف شامل لهذا العلم؛ فيمكننا أن نعرفها بأنها : "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التّواصل ذلك أن صناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسّامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما"[14]. ويمكن أن يخلص الباحث - في هذا المجال وبيسر- إلى أن ما تصبو إليه التّداوليّة انطلاقا من تحديد مفاهيمها هو: «أنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغويّة في مجال الاستعمال؛ ويدمج، من ثمّ، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التّواصل اللغويّ وتفسيره»[15].

تحليل الخطاب هو أحد مستوكات الدّرس اللغويّ المعاصر؛ والذيّ يهتمّ بدراسة النّصوص سواء أكانت محكاة أم مكتوبة، نثريّة أم شعريّة والتّداوليّة كنظريّة لغويّة تبدو العلاقة وثيقة بينها وبين تحليل الخطاب، فكلّ منهما يهتمّ بدراسة النّصوص وتحليلها من خلال الاهتمام بالمتكلّمين (المخاطَب) و(المخاطِب) ومقاصدهما والسّياق الذيّ يرد فيه الحوار (الخطاب)، والعناصر الإشاريّة والمبادئ الحواريّة. فلقد «صار الاهتمام بالخطاب —ومن وجه آخر بالنّص- غرضا من أغراض التّداوليّة فدخلت مفاهيمها في تحليل الخطاب واللسانيات النّصيّة ابتداءً باللملفوظ والتّلفظ، والسّياق، واللفظ، والمقام التّواصلي والقصد، والفعل الكلامي، وقوانين التّحاور، والإشاريات والمبهمات ومضمرات القول، والحجاج. ويعد كذلك الاهتمام بالتّعاون التّأويليّ الذيّ يمارسه المتلقيّ للخطاب أحد المباحث التّداوليّة المهمة، وبناءً على ما سبق فقد أَثْرَت المفاهيم التّيّ حققتها التّداوليّة في مجال تحليل الخطاب بعد استعمال الأخير لها. فعدّ محللو الخطاب دراسة الأدب تحت تأثير التّداوليّة فتحا جديدا لا تصبح فيه

اللسانيات وسيلة فقط - كما كانت في الأسلوبيّة التّقليديّة والبنيويّة- وإنما تصير وسيلة منهجيّة لتنظيم الحقول المعرفية واستثمار الظواهر»[16]. وسنحاول في ما يليّ أن نثبت ذلك بالتّمثيل عن علاقة أو تداخل هذين الحقلين من المعرفة الإنسانيّة في مقاربة النّص الشّعري.

4- النّص الشّعريّ بين تحليل الخطاب والتّداوليّة:

4- 1- نص عربيّ قديم: لا شك أن الشّعر العربيّ والغربيّ معا قد تعرضا لقراءات كثيرة ومختلفة وتناولهما النّقاد والباحثون من زوايا عديدة؛ تراوحت بين الشّكل تارة والمضمون تارة أخرى، وقد تزاوج بينهما في الكثير من الأحيان. وظل الشّعر موضوعا مثيرا للنظر والبحث خاصّة في العصر الحديث؛ بعدما توفّر للنقاد من المعارف الحديثة من مناهج وآليات ونظريات لمقاربة النّصوص بكل أجناسها. وقد نجد هذه المناهج والنّظريات تختلف حينا وتتعارض بحدة أحيانا أخرى؛ لكنها قد تلتقيّ جميعها في الرغبة الملحة التّيّ تدفع المتبنين لها إلى الكشف عن أغوار هذه النّصوص الشّعريّة الكثيرة والمتنوعة، وتجاوز ظاهرها نحو عمق يحويّ خصائصها المميزة، ويقوّم تجربة شعريّة مثلت لفترة طويلة من الزمن نموذجا يحتذى بها ومنوالا يسير الشّعراء على هديه. وقد وقع اختيارنا في هذه الجزئيّة على النّظر في الشّعر العربيّ القديم من زاويّة جديدة تتمثل في محاولة لإبراز فاعليّة التّداوليّة في الخطاب الشّعريّ مستعينين بشعر "أبيّ نواس" للتطبيق من خلال قصيدته "عند سابا" التّيّ يقول فيها[17]:

وَأَحـــــوَرَ ذِمِّـــــيّ طَرَقـــــتُ فِنائَـــــهُ

بِفِتيـــانِ صِـــدقٍ مـــا تَـــرى مِـــنهُمُ نُكـــرا

فَلَمّـــا قَرَعنـــا بابَـــهُ هَـــبَّ خائِفـــاً

وَبـــادَرَ نَحـــوَ البـــابِ مُمتَلِـــئً ذُعـــرا

وَقـــالَ مَـــنِ الطُـــرّاقِ لَـــيلاً فِناءَنـــا؟
فَقُلـتُ لَـهُ افـتَح فِتيّـة طَلَبـوا خَمـرا
فَـــأَطلَقَ عَـــن أَبوابِـــهِ غَـــيرَ هائِـــبٍ
وَأَطلَـــعَ مِـــن أَزرارِهِ قَمَـــراً بَـــدرا
وَمَـــرَّ أَمـــامَ القَـــومِ يَســـحَبُ ذَيلَـــهُ
يُجـاذِبُ مِنـهُ الـرِدفَ في مَشـيهِ الخَصـرا
فَقُلـتُ لَـهُ مـا الإِسـمُ حُيِّيـتَ؟ قـالَ لـي
دَعـانيّ أَبـيّ سـابا وَلَقَّـبَنيّ شَـمرا

يبدأ الشّاعر قصيدته بتوجيهه الخطاب إلى شخصيّة محددة وهي "الأحور الذمي" ليتوالى ذكر مجموعة من الأفعال الإنجازيّة مثل (طرقت فناءه، قرعنا بابه، هب خائفا، بادر نحو الباب)، مُشَكِّلَة مقدّمة يتصدرها حوار دار بين الشّاعر و"الأحور الذمي" بالشّكل التّالي:

الذمي: من الطارق ليلا؟

أبو نواس: افتح فتيّة يطلبون خمرا.

أبو نواس: ما الاسم حييت؟

الذمي: دعانيّ أبيّ سابا ولقبنيّ شمرا.

أبو نواس: جئناك نبتاع قهوة.

الذمي: أربعوا عندي.

أبو نواس: فماذا مهرها؟

الذمي: مهرها إليك

أبو نواس: خذها وهات نعاطها.

بعد النّظر المعمق في هاته القصيدة يتراءى لنا مجموعة من العلاقات تتمثل في: هيمنة الثنائيات المترابطة على بنيّة حوار القصيدة من (سؤال/وجواب) وكذا (طلب/وموافقة)، ويمكن توضيح ذلك من خلال الشّكل الآتي[18]:

سؤال وإجابة	طلب وموافقة
- من الطارق ليلا؟ (سؤال)	- جئناك نبتاع قهوة معتقة (طلب)
افتح فتيّة طلبوا خمرا (جواب)	- أربعوا عنديّ (موافقة)
- ما الاسم حييت؟ (سؤال)	- خذها وهات نعاطها (طلب)
دعانيّ والدّيّ سابا (جواب)	- فقام إليها (موافقة)
- فماذا مهرها (سؤال)	
مهرها إليك. (جواب)	

والملاحظ أن جميع الأفعال الكلاميّة المذكورة قد تم إنجازها والموافقة عليها وذلك لتوفر عناصر السّياق التّداولي، لأن المخاطِب (أبا نواس) يرغب في طلب شرب الخمر؛ وكما هو معروف فهذا من أحب الأشياء إليه، وفي المقابل نجد المخاطَب (الأحور الذمي) مستعدا لتلبيّة طلب أبيّ نواس وتقديم الشّراب له وجاء هذا في قول الشّاعر "ومازال َيسقينا ويشرب دائبا". كذلك علاقة التّمهيد وهي العلاقة التّيّ تحكم الأفعال الإنجازيّة الآتيّة: "طرقت فناءه"، "قرعنا بابه" "بادر نحو الباب" وبين "هب خائفا"، "ممتلئا ذعرا"؛ بوصفها سلسلة أولى. وبين الأفعال الإنجازيّة كالسّؤال في قوله "من الطارق؟ ما الاسم حييت؟"، وبين متتاليّة الأفعال الكلاميّة من قبيل "أفتح"، "فتيّة طلبوا الخمرا" و"قال لي: دعانيّ أبيّ سابا ولقبنيّ شمرا[19]. قد اكتشف الباحث أنّ ثمة علاقات بين تلك الأفعال الإنجازيّة التّيّ استخرجها من نص القصيدة وهي:

- علاقة الإيجاب والإيقاع: بين الأفعال الإنجازيّة الآتيّة : (جئناك نبتاع قهوة، أربعوا عندي، فماذا مهرها، فسقنا نحوها خمسة صفرا، خذها وهات

نعاطها)، وبين متتاليّة أفعال الكلام كما في (فشك بإشفاء له بطن)، (فسالتّ تحاكي)؛ فالعلاقة التّيّ تحكم هذا الإرتباط هي علاقة العقود في البيع والشّراء.

- العلاقة التّأثيريّة المتولدة بوساطة الربط بين الجمل (ومازال يسقينا) و(يشرب دائما) و(إلى أن تغنيّ حين مالتّ به سكرا) وبين الجمل الآتيّة: (فيا حسنه لحنا بدا من لسانه)، و(يا حسنه لحظا)، و(يا حسنه ثغرا)؛ بمعنى أنّ العلاقة أو الوظيفة التّأثيريّة التّيّ تحكم هذا الإرتباط بين سلسلة الأفعال الكلاميّة (يسقينا، يشرب، يغني) وبين فعل التّعجب المتولّد من حسن الغناء، وحسن المنظر وحسن الثغر. إن هذا الإعجاب بوصفه فعلا سلوكيا كان بسبب الغناء الجميل[20].

4- 2- نصّ غربيّ معاصر: ومن أمثلة التّحليل التّداوليّ للخطاب الشّعريّ قصيدة لـ(وليم كارلوس وليامز) بعنوان ننتوكيت[21]:

الزُّهُورُ منْ خِلالِ النّافِذَة.
أقحُوانِيّة وصفْرَاءَ وقدْ غَيّرتْهَا السّتَائر البِيض.
رَائحَةُ النّظَافَة
طُلُوعُ شَمْس ظَهِيرَةٍ مُتَأَخِّرَة
عَلَى طبَقٍ زُجَاجِيّ
إِبْرِيقَ زُجَاجٍ، وَقَدَحٍ
مَقْلُوب، وبِجنْبِهِ
يَضْطَجِعُ مِفْتَاح. والـ
فِرَاشٌ الأَبْيَضُ الطَّاهِر.

تسميّ هذه القصيدة في عنوانها مكانا واقعيا هو جزيرة (ننتوكيت) في (ماساشوسيتس) لكنه أيضا مكان أدبيّ في الموروث الأمريكي. تزدهي الجزيرة بمتحف الحيتان فيها، بموانئها وسواحلها ونوارسها... لكن نص القصيدة لا

يقدم شيئا من هذا... فهو يطرح صورة مغايرة لا تقل عنها واقعيّة لكنها أكثر توترا بسبب المسافة التّيّ تفصلها عن دلالات الاسم الإيحائيّة، ولكيّ يجعل الباحث هذا النّص قصيدة رأى أنه ينبغيّ أن يعمد إلى تحليل ثلاثة مستويات ينبغيّ توفير نحو معقول ونموذج دلالي، وسياق أو موقف تداولي. وعند تحليله للسياق التّداوليّ طرح مجموعة من الأسئلة وأجاب عنها وهي: أين نحن؟ كيف نعرف أين نحن؟ في ننتوكيت بلا ريب ولكن أين نحن بالضبط؟ يرى الباحث أن قرائن القصيدة تدل على أننا في داخل مكان ما، غرفة ما مثلا حيث تبدو الزهور من الخارج من خلال النّافذة، ورائحة النّظافة رائحة داخليّة وهي نتاج إنسانيّ وتضم الغرفة سريرا وطبقا زجاجيا؛ إنها غرفة نوم، لكن وجود الإبريق والقدح يوحيّ أنها غرفة استقبال وتوحيّ حركة العين من النّافذة إلى السّرير ونوع التّفاصيل التّيّ تعرضها أنها غرفة غير عاديّة (إنّنا لانشم عطر غرفتنا سواء أكانت نظيفة أم لم تكن)، وأخيرا فإن المفتاح يوحيّ أنها غرفة مستأجرة في نزل في (ننتوكيت)؛ إذ لا يمكن إلا هناك العثور على هاته التّشكيلة من الإبريق والسّرير والمفتاح. وتفسير الباحث للقرائن اعتمد على التّأليف بين ملفوظات وجيزة يوردها في شكل دلالات إيحائيّة دون تصريح مباشر، مستعينا بما تقوله العلامات اللغويّة، فانتقل بلغة الأبيات من المستوى السّطحيّ إلى فضاء تداوليّ أعانته على ذلك تقنيّة التّأويل.

5- تحليل الخطاب الشّعريّ بتقنيّة العتبات التّداوليّة: ممّا تركز عليه التّداوليّة في تحليل الخطاب قضيّة العتبات الكلاميّة كجانب إجرائيّ في التّلفظ، «فالكلام بصفة عامة حمال أوجه، يفصح عن وجه ويواريّ وجوها أخرى وعلى المخاطب أو المتلقيّ الحذق البحث عن القصد من التّكلم، ويبدو أو يحتمل أنه تحضير المتلقيّ للتفاعل مع النّصوص المنتجة عبر مجموعة من العتبات قائمة على التّواضع حول مجموعة من القضايا اللغويّة التّيّ قد يُؤديّ جهلها إلى

سوء الفهم، إذ على المتكلم مراعاة قدرات المخاطب، والأخذ بعين الاعتبار مجموعة من العوامل التّيّ قد تساعده على الفهم. والفهم الجيد يمكّن من إقامة علاقات حواريّة بين الأطراف المتخاطبة، تتباين مقاصد الحوار وتتنوع بين توجيه المتكلم لإنجاز أفعال ما، أو إقناعه بأفكار أو أفعال»[22] وبالتّاليّ يمكن أن نرصد العتبات التّاليّة: الإفهاميّة، الحواريّة، التّوجيهيّة، الحجاجيّة. وهي عتبات متداخلة إذ في الموقف التّواصليّ الواحد قد يجتمع الإفهام والتّوجيه والحوار والحجاج، كما أن للعتبة الحجاجيّة حضورا في مختلف العتبات على اعتبار «أن كل قول ولو كان لفظا واحدا هو حجة حذف أحد عناصرها»[23].

5- 1- العتبة الإفهاميّة: إذا رغبنا أن تتحقق عمليّة التّواصل بين المتلقيّ مع أيّ خطاب يلزمنا في البدايّة إدراك بعض من خبايا اللغة، والتّيّ قد تتسبب في إفساد عمليّة الفهم والإدراك، والذيّ يحيلنا بدوره إلى الحيلولة دون تحقيق عمليّة التّواصل لأنها عمليّة تقوم على عقدين؛ (المتكلم والمخاطب) إضافة طبعا للخطاب الذيّ يتداولانه. يتم من خلاله الاتفاق على شفرات لغويّة محددة مسبقا، ولكن هذا التّعاون بين المتكلم والمخاطب ليس قائما في كل الأحوال، بل يمكن للمتكلم أن يبنيّ كلامه بشكل يؤديّ إلى سوء التّأويل، ويكون ذلك بشكل مقصود أو غير مقصود، كما يمكن للمخاطب «أن يعيد بناء القول على ما قاله المتكلم انطلاقا من فهم سيء مقصود أو غير مقصود للمتكلم»[24]، وللتقليل من درجة سوء الفهم والتّوسيع من دائرة الحوار بين الأشخاص المتخاطبين يلجأ عادة إلى بعض الطرق والآليات كالإفهام بالشّرح إذ إن التّفاعلات الحواريّة بين الأفراد تُبنى في جزء منها على التّشارح الذيّ يعتبر من المعايير الأساسيّة لحصول التّواصل وتفسير الخطابات أو تحليلها، فالشّرح يرتبط مع مجموعة من الأسس والقواعد اللغويّة التّيّ يمكن امتلاكها لإزالة بعض الغموض والضبابيّة التّيّ تحيط بالخطابات[25]، وللتوضيح أكثر سنستشهد بوجهة نظر عبد القاهر

الجرجانيّ التّاليّة، والتّيّ يذهب فيها إلى القول: «اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعان من اللفظ هو به أخص وأولى... وهو فيه أحلى، ومأخذا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب... وإذا كان الشّيء متعلقا بغيره مقيسا على سواه كان خير ما يستعان به على تقريبه من الإفهام، وتقريره في النّفوس، أن يوضع له مثال يكشف عن وجهه ويؤنس به، ويكون زماما عليه، يمسكه على المتفهم له والطالب علمه»[26]، وللتبسيط أكثر يمكننا أن نأخذ هاته الشّواهد من كتاب جمهرة أشعار العرب:

قول الشّاعر:

ألا زَعمتْ بَسباسةُ اليومَ أنّنيّ ... كَبِرتُ، وأنْ لا يُحسن السّرّ أمثالي[27]

قال تعالى: « وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا »[28].

قال امرئ القيس:

خَفَاهُنّ من أَنْفَاقِهِنّ، كَأَنّمَا ... خَفَاهُنّ ودقٌ من عَشيّ مُجَلِّبِ[29]

قال تعالى: «إِنَّ السّاعَةَ آتِيّة أَكَادُ أُخْفِيهَا»[30].

من الشّواهد السّابقة نستطيع القول أن هناك إستراتيجيّة في الشّرح تقوم على التّمثيل للفظة المشروحة بنص آخر غير الذيّ وردت فيه، فالألفاظ المشروحة في النّماذج السّابقة هي ألفاظ دلالاتها الشّائعة عكس الدّلالة المبتغاة، أو ما يعرف في اللغة العربيّة بالمشترك اللفظي، يركز عليها الشّرح لأنها ألفاظ محفوفة باحتمالات سوء الفهم كلفظة أخفيها التّيّ تعنيّ في الظاهر أخبئ ولكنها تضمر عكس هذا في النّص الشّعري[31].

فكلمة الشّرح والتّمثيل في كتاب جمهرة أشعار العرب مثلا ترتبط بما ذكر من أن في القرآن مثل ما في كلام العرب من اللفظ المختلف، ومجاز المعاني، وقد بيّنت الأمثلة السّابقة اللفظ المختلف، وتوضح الأمثلة التّاليّة الاستخدام المجازي.

يقول الأعشى:

بكأسٍ كعينِ الدّيكِ باكَرْتُ خِدرَها ... بفتيانِ صِدقٍ، والنّواقيسُ تُضرَبُ[32]

الكأس والخمر، ومنه قوله تعالى: «يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ»[33].

والألفاظ التّي ركز عليها الشّرح ههنا لم تستعمل استعمالا حقيقيا، وإنما أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثانيّ والأول فهي مجاز[34]. إن الوصول إلى أن المعنى الحقيقيّ في الألفاظ المشروحة سابق ليس المراد يتم من خلال السّياق الذيّ وردت فيه، والذيّ يحويّ قرائن ترجح المعنى المجازيّ وعليه يمكن القول إن عمليّة الشّرح تتعلق بقضيّة هامة هي السّياق النّصيّ الذيّ يرجح اختيارا ما من بين الاختيارات المتاحة[35]، فالمجاز لدى محللي الخطاب هو خاصيّة نسقيّة تفتح المجال أمام النّاقد والدّارس للتعدديّة القرائيّة باعتبار النّص في المناهج النّقديّة النّظميّة المعاصرة منفتح لا حدود لتأويله فهو زئبقيّ الدّلالة ولا يمكن الامساك بذلك.

5- 2- **العتبة الحواريّة**: يشكّل الحوار دورا بارزا في مجال التّداوليّة باعتباره نشاطا يُظهِر استعمالات اللغة المتعددة داخل إطار تفاعليّ بين قطبيّ العمليّة التّواصليّة المتكلم والمستمع، ويمكن القول إنه فعل لازم للإنسان الذيّ يشتق من ذاته ذاتا يحاورها إن لم يكن هناك ذاتا أخرى، إن الألفاظ الدّالة على التّخاطب تومئ إلى فكرة التّفاعل أو تبادل الأدوار في الحلقة الكلاميّة، فالمستمع متلق قد يتحول إلى متكلم والسّائل متكلم يتحول إلى متلق وهكذا مع بقيّة الألفاظ، وفق ما يتطلّبه موقف تواصليّ معين، إذ يتحول المخبر أو المتحدث إلى سامع، وتتضح دلالات تلك الألفاظ، ويتجلى مدى ارتباطها بالمتكلم أو المتلقي[36] حين توظف في الخطابات الشّعريّة خاصّة لما تحويه من تراكمات جماليّة ومجازيّة.

وجود لغة مشتركة بين الباث والمتلقيّ هو أساس الحوار، وأكيد أن هذا الاشتراك هو سبب ظهور العتبة الإفهاميّة، وهاته الأخيرة تطمح إلى خلق فضاء لغويّ مشترك يهفو إلى تنبيه القارئ أو القرّاء إلى استعمالات الشّعراء للألفاظ إذ

قد «يذهب الشّاعر إلى اللفظة التّيّ كثيرا ما تحتمل شيئا من الغموض الذيّ لا بد منه أحيانا في صناعة الشّعر، وهو غموض إضعاف تلك العلاقة الآليّة بين الألفاظ ومداليلها التّيّ وضعت لها في المعاجم»[37].

وسنستعين بهذا المثال لتوضيح هذه العتبة: «عن الأصمعيّ قال: قدم رجلٌ من فزارة على الخليل بن أحمد وكان الفزاريّ عيياً، فسأل الخليل مسألةً فأبطأ في جوابها فتضاحك الفزاري، فالتّفت الخليل إلى بعض جلسائه فقال: الرجال أربعة: فرجل يدريّ ويدريّ أنه يدري، فذلك عالم فاعرفوه، ورجل يدريّ ولا يدريّ أنه يدري، فذلك غافلٌ فأيقظوه؛ ورجل لا يدريّ ولا يدريّ أنه لا يدري، فذلك جاهل فعلموه؛ ورجل لا يدريّ ولا يدريّ أنه لا يدري، فذلك مائق فاجتنبوه. ثم أنشأ الخليل يقول: الكامل

لـــو كنـــتَ تَعلَـــمُ مـــا أقـــولُ عـــذَرتَني

أَوْ كنـــتُ أَجْهَـــلُ مـــا تقـــولُ عـــذَلتُكا

لَكِـــنْ جَهِلـــتَ مَقَـــالتّيّ فَعـــذَلْتَني

وعلِمـــتُ أَنَّـــكَ مـــائقٌ فَعَـــذَرْتُكا»[38]

يوضّح هذا النّص أثر الفهم الحاصل والذيّ حال دون إنشاء حوار فعال، وقد يرجع سبب فشل هذا الحوار إلى عدة أسباب لعل أبرزها:

– اختلاف مقامات المتخاطبين.

– سوء التّأويل للأفعال الكلاميّة التّيّ صدرت عن كليهما، إذ أوّل الفزاريّ إبطاء الخليل بالعجز فتضاحك، وأوّل الخليل تصرف الفزاريّ بالحمق فاجتنب الحديث إليه، والتّفت إلى بعض جلسائه. هذا كما حدد الخليل العلاقة بين المتكلم والمستمع على أساس المعارف التّيّ يمتلكها أحد الأطراف وفق ما يلي:

موقف المتكلم		موقف المستمع
عارف	←	الاتباع
غافل	←	التّنبيه
جاهل	←	التّعليم
أحمق	←	الاجتناب

إن هذه الحالات تحكم علاقة المتكلم بالمخاطب والعكس، وفق تبادل الأدوار، إذ قد يحتل المتكلم دور المخاطب، ويحتل المخاطب دور المتكلم في الدّورة الكلاميّة[39] فالعلاقة التّي حكمت المتخاطبين هنا كانت بالاستناد إلى معارفهم قد تظهر في موقف لغويّ أو غير لغوي، فالضحك والالتّفات الصادرين عن العيّ والخليل على التّرتيب هي مواقف غير لغويّة، والسّؤال والإخبار موقفان لغويان، إن الموقفين ليسا منعزلين عن بعضهما البعض[40].

5- 3- **العتبة التّوجيهيّة:** تعتبر هاته العتبة واحدة من عتبات التّداول وتقترن بجانب من جوانب التّواصل التّفاعليّ لتوجيه يتعلق في أساسه بوجود طرفين تتحدد العلاقة بينهما تبعا لنوعيّة الخطاب المنتج، والذيّ غالبا ما يبنى على ما يشير لفعل التّوجيه وتسهم العلاقة بين طرفي الخطاب إلى حد بعيد في الكشف عن مقصديّة الخطاب محددة إذا ما كان توجيها أو غير ذلك، يتضح هذا مثلا مع فعل الأمر الذيّ يعد تقنيّة من تقنيات التّوجيه[41]، أو فعلا من الأفعال التّوجيهيّة. ويعرف العلويّ الأمر على أنه: «صيغة تستدعيّ الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء، فقولنا صيغة تستدعي، أو قول ينبئ، ولم نقل (افعل) و(ولتفعل)، كما يقوله المتكلمون والأصوليون لتدخل جميع الأقوال الدّالة على استدعاء الفعل في الفارسيّة {كذا} والتّركيّة، والروميّة، فإنها كلها أداة {كذا} على الاستدعاء من غير صيغة افعل، ولتفعل، ونحو قولنا: نزال ، صه، فإنما يدلان{كذا} على

الاستدعاء من غير صيغة (افعل) وقولنا: من جهة الغير، نحترز به عن أمر الإنسان نفسه»[42].

وإذا كان «الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة وإلا لم يستتبعه، فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال بالشّرط المذكور أفادت الوجوب وإلا لم تفد غير الطلب، ثم إنها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام؛ إن استعملت على سبيل التّضرع كقولنا: اللهم اغفر وارحم، ولدت الدّعاء، وإن استعملت على سبيل التّلطف كقول كل أحد لمن يساويه في المرتبة: افعل بدون الاستعلاء، ولدت السّؤال والالتّماس كيف عبرت عنه، وإن استعملت في مقام الإذن كقولك جالسّ الحسن أو ابن سيرين لمن يستأذن في ذلك بلسانه أو بلسان حاله ولدت الإباحة، وإن استعملت في مقام تسخط المأمور به ولدت التّهديد»[43]. من خلال هذا النّص يستنتج القارئ أن التّوجيه بالأمر ليس محكوما بالوضع اللغويّ فحسب، بل يخضع إلى سلطة المرسل، والتّيّ قد تكون مكسبا في حقل من الحقول الاجتماعيّة أو الوظيفية أو غيرها، وقد تكون موجودة قبل التّلفظ بالخطاب وتتبلور بالانتماء إلى درجات متفاوتة في سلم العلاقات العموديّة بين طرفي الخطاب، وهي عرفية تعاقديّة يكتسب فيها المرسل سلطة تخوله إصدار أفعال لغويّة مثل: علاقة الطبيب بمرضاه، أو علاقة القاضيّ بالمحتكمين إليه، أو المدرس بطلابه، أو رجل الأمن بالجمهور ضمن اختصاصه[44]. للتوضيح أكثر سنستشهد بالمثال الآتي:

يقول أبو نواس:

قُـــل لِلأَمـــينِ جَـــزاكَ اللَـــهُ صـــالِحَةً

لا تَجمَـعِ الـدّهرَ بَـينَ السّـخلِ وَالـذيبِ

السّـــخلُ يَعلَـــمُ أَنَّ الـــذِئبَ آكِلُـــهُ

وَالـذيبُ يَعلَـمُ مـا بِالسّـخلِ مِـن طيـبِ

يكتشف المتلقيّ من خلال قرائته لهاته الأبيات أنّ المرسل (المتكلم) يتمتع بسلطة تمكنه من ممارسة أفعال وإلحاق الضرر بالآخرين وإن كان باطلا وزيفا. إن المعنى الحرفي في قوله "لا تجمع الدّهر بين السّخل والذّيب" غير كاف لفهم الخطاب في حال فصل أو اقتطاع النّص عن سياقه الخارجي؛ لأنّ "السّخل والذّيب" يشيران في حقلهما المعجميّ إلى نوعين معروفين من الحيوانات؛ ومن ثم فإن الشّكل اللغويّ للتعبير لا يعكس قول المتكلم (المرسل) إلا بتموضعه في سياقه الخاصّ وهو سياق التّهديد. وإن المعنى التّداوليّ أو قصد المرسل في إنجاز فعل التّهديد للمخاطب/الكسائيّ تشكل باستراتجيّة غير مباشرة؛ لأن المتكلم وهب "السّخل" و"الذيب" بوصفهما إشارتين خصوصيّة في الدّلالة لا تنحصر في الحقل المعجميّ للفظين، فالأولى "السّخل" المقصود منها هو الأمين. أما الثانيّة "الذيب" فالقصد منه الكسائي[45].

5- 4- العتبة الحجاجيّة: باللغة نستطيع التّأثير في الآخرين، فكل لفظ يعتبر حجة بحسب قول طه عبد الرحمان، ويتم ذلك وفق آليات ملحقة حتما باللغة، فسلوكيات الإنسان اللغويّة وغير اللغويّة هي في الواقع نشاط حجاجيّ يمارسه ليؤثر في الآخرين ويتأثر بهم، ويحول دون تأثيرهم فيه. ومن خلال هذا يمكن للحجاج في الشّعر أن يكون منتميا للحجاج الخطابيّ الذيّ يوَجّه للجمهور ويقوده ويؤثِّر فيه، لأن الشّاعر يستمليّ النّفوس بتحريكها وشحذ هممها لتتصف بالمعانيّ السّاميّة النّبيلة. ويتم هذا من خلال محاولته إقناع الممدوح بما يقوله سواء أكان غرض هذا الشّعر رثاء أم مدحا أم غزلا أم غير ذلك، ففي المدح مثلا نجد المتنبيّ يحاول جاهدا إقناع ممدوحه بأنه جدير بأخذ هداياه باستعماله لأسلوب الفخر، وبأنه أحقُّ بالتّقريب من أيّ شخص أو شاعر آخر، أما في الغزل فيحاول إقناع محبوبته بأنه الأولى بكسب حبّها وعطفها ومودّتها وهذا بذكره لها حججه المتمثلة في ألوان العذاب والأحزان التّيّ يعانيّ منها، وفيما يخص

غرض الرثاء فقد مزج فيه بين الحكمة والمدح، فيبدأ بذكر الفقيد بخصاله الحميدة هو وذويه، ويخلص إلى حكمة مفادها أن ما من أحد سيخلُد في هاته الدّنيا الفانيّة. وباستعماله لهاته الحجج في مختلف هاته الأغراض فهو يصبو إلى الإقناع والتّأثير في المتلقيّ من خلالها (الحجج)[46]. فسلطة الشّاعر على النّفوس والقدرة على التّأثير فيها هو في حدّ ذاته حجاج. وأحسن مثال يُضرَب على قدرة هذا الشّاعر على التّأثير في النّفوس قوله حين أكثر عليه أبو فراس الحمدانيّ مجادلته ومناقشته في قصيدته الميميّة باتهامه بالسّرقة، فغضب "سيف الدّولة" وقام بضربه بالدّواة التّيّ بين يديه، فأنشد المتنبيّ يقول[47]:

إن كانَ سَرَّكُمُ ما قالَ حاسِدُنا
فَما لِجُرحٍ إذا أَرضاكُمُ أَلَمُ

وهنا انقلب الأمر ومالتّ كفَّة الحجاج لصالح المتنبي، ولم يُعِرْ سيف الدّولة اهتماما لما قاله أبو فراس، وأُعجِب بما أنشده المتنبيّ ورضِيّ عنه وقام بتقريبه إليه وتقبيل رأسه وجازاه بمبلغ ألفي دينار. وهذا كله سببه قدرة الشّاعر على الإقناع.

تحليل النّتائج: للتداوليّة علاقة وطيدة بتحليل الخطاب كونهما يشتغلان - خاصّة فيما يتعلق بالنّص الأدبي- على النّسق اللسانيّ واستعمالاته المختلفة، فما الخطاب إلا مجموعة من الانظمة والعلائق التّيّ لا يمكنها الإفلات من قبضة اللغة، في حين أن التّداوليّة هي الأخرى تسلط آلياتها الإجرائيّة على هذه الأنظمة والعلائق اللغويّة مستعينة بكل ما تملكه من أدوات لاستقراء النّصوص أو الخطابات بشتى أنواعها مستعينة بأفعال الكلام والحجاج والإفهام والحوار والتّوجيه لتقريب الخطاب من متليقه.

الخاتمة: يخلص الباحث في مجال التّداخل المعرفي بين النّظريّة التّداوليّة وتحليل الخطاب- كعلمين معاصرين- إلى أن أهم ما يجمع بينهما في القراءة

النّصيّة هو الاشتغال على النّسق اللغوي؛ بمعنى أن العلامة اللغويّة ومدلولاتها وإيحاءاتها هو القاسم المشترك بينهما.

وفي مجال الخطاب الشّعريّ أدركنا- من خلال هذا المقال- وبيسر مدى التّفاعل الحاصل بين التّحليل النّصيّ والاستعمال التّداوليّ للغة الشّعر، فقد لا حظنا أن الشّعراء- وبكل طبقاتهم وفي شتى الأغراض التّيّ ينظمون فيها- يلجؤون إلى تقنيات تداوليّة ليجعلوا خطاباتهم تفعل فعلتها في المتلقي، بقصد أو بغير قصد، ويأتيّ محلل الخطاب ليكشف هذه العلائق من خلال تفكيك تلك البنى النّصيّة والعلامات اللغويّة واستجلاء الجانب النّفعيّ البراغماتيّ فيها.

9. قائمة المراجع:

1) أبو نواس، الدّيوان، دار صادر، بيروت، (لبنان)، د.ت.

2) أحمد كنون، التّداوليّة بين النّظريّة والتّطبيق، دار النّابغة للنشر والتّوزيع مصر ط.01، 1436ه- 2015م.

3) أحمد يوسف، توزيعيّة هاريس والتّحليل النّسقيّ للخطاب، مجلة عالم الفكر مج.1 ج.33، يوليو/ سبتمبر، 2004، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون الكويت.

4) حسان الباهي، الحوار ومنهجيّة التّفكير النّقدي، دار إفريقيا الشّرق الدّار البيضاء المغرب، ط.01، 2004م.

5) حسين عمران محمد، تداوليّة الحدث الكلامي- شعر أبيّ نواس أنموذجا مجلة ديالى، العراق، 2015،العدد 67.

6) حسين عمران محمد، شعر أبو نواس دراسة تداوليّة، مخطوط دكتوراه جامعة ديالى، كليّة التّربيّة للعلوم الإنسانيّة، 1436ه/20115.

7) خديجة بوخشة، الروابط الحجاجيّة في شعر أبيّ الطيب المتنبيّ "مقاربة تداوليّة" مخطوط ماجيستير، جامعة وهران، الجزائر، 2009- 2010.

8) خلف الله بن علي، التّداوليّة مقدمة عامة، مجلة اتحاد الجامعات العربيّة للآداب كليّة الآداب – جامعة اليرموك، إربد، الأردن، المجلد 14، العدد 01 ، 2017.

9) دومينيك مانغو نو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر. محمد يحياتن الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر 2008.

10) رشيد عزّي، إشكاليّة المصطلح في المؤلفات العربيّة، (تحليل الخطاب نموذجا) مخطوط ماجيستير، المركز الجامعي، البويرة، الجزائر، 2008- 2009.

11) روبرت شولز، السّيمياء والتّأويل، تر.سعيد الغانمي، المؤسسة للدراسات والنّشر بيروت 1994، ط.01.

12) السّكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت 1987م.

13) شيتر رحيمة، تداوليّة النّص الشّعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، مخطوط دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر، 2008- 2009م.

14) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، أو التّكوثر العقلي، المركز الثقافي العربيّ الدّار البيضاء، المغرب، ط.01، 1997م.

15) عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1407هـ- 1986م، ج.04.

16) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح. محمود شاكر، مطبعة المدنيّ القاهرة ودار المدني، جدة، د.ت.

17) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح. محمود شاكر، مطبعة المدنيّ بالقاهرة ودار المدنيّ بجدة، 1992م.

18) عبد الهاديّ بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004، ط.01.

19) القرشي، جمهرة أشعار العرب، تح، عليّ محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة د.ت.

20) مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، (دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللسانيّ العربي)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط.01 2005م.

21) هاجر مدقن، التّحليل التّداولي، الأفق النّظريّ والإجراء التّطبيقيّ في الجهود التّعريفية العربيّة، الأثر- مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصديّ مرباح ورقلة الجزائر، العدد السّابع، ماي، 2008.

22) Dominique Maingueneau, Aborder linguistique, Ed. Seiul, Paris, 1996.

23) Jean Du Bois et autres, Dictionnaire de linguistique, Ed. La rousse- Bordas, VUEF, Paris, 2002.

الهوامش:

[1] - Jean Du Bois et autres, Dictionnaire de linguistique, Ed. La rousse-Bordas, VUEF, Paris, 2002, P.150.

[2]- ينظر: أحمد يوسف، توزيعيّة هاريس والتّحليل النّسقيّ للخطاب، مجلة عالم الفكر مج.1 ج.33 يوليو/ سبتمبر، 2004، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون، الكويت ص..129

3- Dominique Maingueneau, Aborder linguistique,Ed. seiul, Paris, 1996, P.48.

[4] - رشيد عزّي، إشكاليّة المصطلح في المؤلفات العربيّة، (تحليل الخطاب نموذجا)، مخطوط ماجيستير، المركز الجامعي، البويرة، الجزائر، 2008- 2009، ص. .47

[5] - دومينيك مانغو نو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر. محمد يحياتن الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، 2008 ص.ص.9- .10

[6]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص.ص. 38- .39

[7]- مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، (دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللسانيّ العربي)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط.01، 2005م ص..05

[8]- خلف الله بن علي، التّداوليّة مقدمة عامة، مجلة اتحاد الجامعات العربيّة للآداب كليّة الآداب – جامعة اليرموك، إربد، الأردن، المجلد 14، العدد 01 ، 2017، ص. ص.224

[9]- المرجع نفسه، ص..224

[10]- ينظر: المرجع نفسه، ص. 224.

[11]- ينظر: المرجع نفسه، ص..225

[12]- هاجر مدقن، التّحليل التّداولي، الأفق النّظريّ والإجراء التّطبيقيّ في الجهود التّعريفية العربيّة الأثر- مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصديّ مرباح ورقلة الجزائر، العدد السّابع، مايّ 2008 ص..167

[13]- المرجع نفسه، ص..167

[14]- المرجع نفسه، ص..167

[15]- مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، (دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللسانيّ العربي)، ص..16

[16]- أحمد كنون، التّداوليّة بين النّظريّة والتّطبيق، دار النّابغة للنشر والتّوزيع، مصر ط.01 1436ه- 2015م، ص.50.

[17]- أبو نواس، الدّيوان، دار صادر، بيروت، (لبنان)، د.ت، ص..225

[18]- حسين عمران محمد، تداوليّة الحدث الكلامي- شعر أبيّ نواس أنموذجا، مجلة ديالى العراق 2015،العدد 67، ص. 390.

[19]- ينظر: ، المرجع نفسه، ص.391.

[20]- المرجع نفسه، ص.391.

[21]- ينظر: روبرت شولز، السّيمياء والتّأويل، تر.سعيد الغانمي، المؤسسة للدراسات والنّشر، بيروت 1994، ط.01، ص.ص.90- 91- 92.

[22]- ينظر: شيتر رحيمة، تداوليّة النّص الشّعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا مخطوط دكتوراه جامعة باتنة، الجزائر، 2008- 2009م، ص..18

[23]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، أو التّكوثر العقلي، المركز الثقافي العربيّ الدّار البيضاء المغرب ط.01، 1997م، ص..255

[24]- حسان الباهي، الحوار ومنهجيّة التّفكير النّقدي، دار إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب ط.01 2004م، ص..118

[25]- شيتر رحيمة، تداوليّة النّص الشّعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، ص..19

[26]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح. محمود شاكر، مطبعة المدنيّ بالقاهرة ودار المدنيّ بجدة، 1992م، ص.575.

[27]- القرشي، جمهرة أشعار العرب، تح، عليّ محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة د.ت، ص..15

[28]- سورة البقرة، الآيّة.235

[29]- القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص..16

[30]- سورة طه، الآيّة.15

[31]- ينظر: شيتر رحيمة، تداوليّة النّص الشّعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا ص.ص. 26- 27.

[32]- القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص..20

[33]- سورة الواقعة، الآيّة.20

[34]- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح. محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ودار المدني، جدة، د.ت، ص.351.

[35]- ينظر: شيتر رحيمة، تداوليّة النّص الشّعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا ص.ص . 26- 27.

[36]- ينظر: نفسه، ص..30

[37]- حسين الواد، المتنبيّ والتّجربة الجماليّة عند العربيّ (تلقيّ القدماء لشعره)، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط.02، 2004م، ص..140

[38]- الجمهرة، ص..43

[39]- شيتر رحيمة، تداوليّة النّص الشّعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، ص..48

[40]- نفسه، ص..49

[41]- شيتر رحيمة، تداوليّة النّص الشّعري، ص..50

[42]- عبد الهاديّ بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة ص..365

[43]- السّكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة بيروت، 1987م ص.ص. 318- 319.

[44]- ينظر: عبد الهاديّ بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، ص.227.

[45]- حسين عمران محمد، شعر أبو نواس دراسة تداوليّة، مخطوط دكتوراه، جامعة ديالى، كليّة التّربيّة للعلوم الإنسانيّة، 1436ه/20115، ص.ص.51- 52.

[46]- ينظر: خديجة بوخشة، الروابط الحجاجيّة في شعر أبيّ الطيب المتنبيّ "مقاربة تداوليّة" مخطوط ماجيستير، جامعة وهران، الجزائر، 2009- 2010، ص.40.

[47]- عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1407هـ- 1986م ج.04، ص.87.